محمد رسول الله

للأستاذ علي الطنطاوي

كتب كتاب في الرسالة عن الرسول صلى الله عليه وهل كان يعلم الغيب أم أن الغيب شيء قد اختص الله نفسه بعلمه . فكتبت كلمة صغيرة لتنشر في البريد الأدبي ، ثم رأيت أن الأمر أكبر من ذلك وأنه لا يكفي فيها تحقيق هذه الجزئية ؛ بل لابد من تصحيح عقيدة كثير من المسلمين بالنبي صلى الله عليه وسلم

إن القرآن بين بيانا صريحا لا لبس فيه ولا غموض ، ولا مجال لتأويل ولا تبديل ، بأنه صلى الله عليه وسلم بشر يوحى إليه ، فهو في ولادته وفي منشئه وفي صحته وفي سقمه ، وفي حياته وفي موته ، بشر كسائر البشر ، وإن كان الله قد اختصه بأسمى الصفات (البشرية) في الخلق والطبع والسلوك والمواهب ، وأنه فوق ذلك يوحى إليه كما كان يوحى إلى الأنبياء من قبله ، ولا يوحى أبداً لأحد من بعده ، لا لإمام من أئمة آل البيت ، ولا لمتنبئ ولا لمدع العيسوية في قاديان . هذه هي العقيدة الصحيحة ، فهل المسلمون كلهم عليها ؟

إن كثيرين من المسلمين ، ولاسيما من يدعي التصوف منهم يرفعون النبي صلى الله عليه وسلم فوق البشر ، ويصفونه بصفات الألوهية ، والأدلة على ذلك لا تعد ولا تحصى ، وأنا أمثل على ذلك بقصائد تتلى صباح مساء ، ويتبرك الناس بها ، ويظنون أنهم يتقربون إلى الله بتلاوتها وإنشادها ، وفيها الكفر الصريح . الذي يعد كفر المشركين من قريش إن قيس به إيمانا ، فكفار قريش كانوا إن ركبوا الفلك ، ودهمتهم الشدائد دعوا الله ، كما أخبر بذلك القرآن ، والبوصيري صاحب قصيدة (البردة) التي يتلوها المسلمون خاشعين كأنهم يتلون القرآن ، يقول للنبي صلى الله عليه :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ومن المعلوم أن أقوى طرق القصر عند علماء البلاغة هو النفي والإثبات ، ولذلك كانت كلمة التوحيد ، لا إله إلا الله : نفي الألوهية عن الجميع وإثباتها لله وحده

وهذه القصيدة الأخرى ، التي كان مشايخنا ... يتبركون بها ، ويتأدبون عند تلاوتها . قصيدة (ما أرسل الرحمن أو رسل) ، يقول صاحبها مخاطبا النبي صلى الله عليه وسلم

عجل بإذهاب الذي أشتكي ... فإن توقفت فمن أسأل ؟

وأصرح من ذلك قول الشيخ عبد المجيد الخاني ، مؤلف الحدائق الوردية :

رسول الله لي بصر كليل ... وأنت بكل أحوالي بصير
رسول الله مالي من نصير ... سواك الدهر يا نعم النصير
لعمرك يا أجل الرسل إني ... لما أنزلت من خير فقير
فإن أدركتني بلطف ... فدهري لا يضر ولا يضير

هل يشك أحد ممن يفهم الكلام العربي ، بأن هذا الرجل يؤله محمداً ، ويعبده ، ويخاطبه بما جاء في القرآن خطابا لله عز وجل (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) ؟

والأحاديث الصحيحة ، قد بينت أنه صلى الله عليه وسلم ولد وربى كما يولد ويربى أبناء قريش إلا أن الله عصمه من عبادة الأصنام ، ومن الكذب والفش وسائر شرور اللسان والقلب ، وجعله على خلق عظيم لم يجعل عليه بشراً غيره في كل عصور البشرية ، وتأتي مع ذلك هذه الموالد التي يتلوها الناس ، وأشهرها مولد العروس عند العامة ، ومولد البرزنجي عند الخاصة ، وكلاهما محشو بالكذب ، فتجعل الوحوش تتباشر بولادته ، بأفصح الألسن القرشية ... وأنه حضر أمه ليلة مولده آسية ومريم في نسوة من الحظيرة القدسية ... وأن جده وأمه كانا يعرفان بأنه خاتم الأنبياء ، مع أنه هو صلى الله عليه ، لم يكن يدري ما الكتاب ولا الإيمان ، وأنه لما جاءه الوحي ذهب يقول زملوني ، دثروني ، حتى أخبره ورقة أن هذا هو الناموس الذي كان ينزل على عيسى

وبعض المسلمين لا يعتقد أن الرسول حيث ، ويراه حيا في

قبره مثل حياتنا، حتى أنه كان فى حينا (فى المهاجرين - فى دمشق) خطيب كان يقول فى خطبته مسجعاً : « قال صلى الله عليه وسلم وهو فى قبره حى: البخيل من ذكرت عنده ولم يصل على، وناقشه بعض طلبة المدارس . فأكد لهم أنه حى فى قبره ، وأن فلانا (ومشايخ الطرق) ، وقف عند القبر ، وقال من قصيدة :

« فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى »

قال : فخرجت اليد الشريفة من جدار القبر حتى قبلها

وأمثال هذه الأكاذيب التى لا يقرها عقل ولا نقل، ولا يقبلها شرع ولا طبع

والله يقول للرسول : (إنك ميت) ونحن ننكر موته، ففيم إذن نقرأ السيرة . ونقول إنه ولد سنة كذا . ومات سنة كذا ؟ وفيم نصب الخلفاء من بعده ؟ ولماذا لم يرجعوا إليه يوم اختلفوا فى السقيفة وكاد ينصدع أمر الإسلام ، وهو مسجى لم يدفن بعد؟

إنه حى عند الله حياة برزخية روحية الله أعلم بها — أما بالنسبة إلينا فهو ميت — قد مات ودفن كما يموت سائر الناس ويدفنون ، وإن كان قد ورد أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأن الله يوكل ملكا يسمعه السلام عليه ، أو يرده عنه . وهذه كلها وإن صح طريقها إخبار آحاد ، لا تثبت بها عقيدة — ولا يبنى عليها علم ، كما هو معروف من علم الأصول

والغريب فى المعجزات أنك إن رجعت إلى كتب الصحاح وإلى السير الأولى كسيرة ابن إسحق ، لم تجد إلا شيئا منها قليلا، فإن ذهبت إلى الكتب المتأخرة كالسيرة الحلبية مثلا وجدتها فياضة بذكر العشرات من المعجزات التى لم يكن لها ذكر فى الكتب الأولى . ونحن لا ننكر المعجزات ، ولكنا نجد فى القرآن ما يرد على طالبى الآيات من المشركين، بأن القرآن هو الآية الكافية التى لا تحتاج إلى شىء معها

ومن المسلمين من يجعل المنامات والرؤى أصلا من أصول الشرع ويبنى عليها أحكاما وأوهاما ويتخذها سبيلا إلى اجتلاب المنافع ، ودرء المفاسد ، ويستندون إلى حديث « من رآنى فقد رآنى حقا » مع أن العلماء قد نصوا على أن الشرط فى ذلك أن يراه على الصورة التى وصف بها فى كتب الحديث وفى الشمائل . ولا يبنى على الرؤيا مع ذلك حكم شرعى

هذا وأنا لا أذكر درجة هذا الحديث — وليس تحت يدى وأنا أكتب هذا الفصل شىء من الكتب أرجع إليه وليس عندى وقت للمراجعة

وبعضهم يخالف ما عليه الإسلام من جهة تقديس أسرته ، وتفضيلهم بمجرد النسب ، مع أن الفضل فى الإسلام للتقوى والمزايا الشخصية . والنبى صلى الله عليه وسلم يقول لابنته فاطمة : « يا فاطمة بنت محمد ، لا أغنى عنك من الله شيئا » ويحتجون بآية (إلا المودة فى القربى) جاهلين معناها ومساقها

وآخرون من المسلمين يظنون أنهم يعجبون الرسول ويعظمونه ، بوصفه بأنه جميل الوجه ، ومدح عينيه وجماله، وذكر العشق والوصال ؛ وينشدون فى ذلك الأناشيد فى الإذاعات — أيام المواسم — ويسمونها أناشيد دينية ، وما هى إلا تقليد للترتيلات الكنسية النصرانية. وقلة أدب مع الرسول ، ولا أصل لها فى الإسلام ولا يرضى بها الشرع ولا الذوق ولا الأخلاق . ويجب شرعا منع إذاعتها

هذا وقد نجحت طائفة من شباب المسلمين . . تنكر الوحى وترى النبى صلى الله عليه وسلم عبقريا فقط ، وبعضهم ينسب العبقرية للشعب العربى ، ويرى بأن الرسول أثر لها — وكل هذا اتباع للمستشرقين والملحدين، ولبعض النصارى من أجراء الأجانب الذين أفسدوا الإسلام فى بلاد الشام باسم القومية العربية ، والانتصار لها والدفاع عنها.. وسنفصل الكلام فى العربية والإسلامية فى مقال آخر إن شاء الله

وبعد فإن من أوجب الواجبات على العلماء والخطباء وأرباب الأقلام الإسلامية ، أن يردوا أتباع محمد إلى العقيدة الصحيحة فى سيدنا محمد صلى الله عليه ، الذى كان بشراً يوحى إليه ، ولم يكن إلهاً يعبد — ولا جميلا يعشق ، ولا نابغة عبقريا فقط

على الطنطاوى